

كتاب : إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم
المؤلف : السمؤال بن يحيى بن عباس المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا الله

قال السمؤال

بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد المصطفى
إن العناية الإلهية لتسوقه من تسبق في علم الله هدايته حتى يوجد منه الاهتداء في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى
وجوده منه فيه وأنا أذكر سبب ما وفقني الله له من الهداية وكيف انساقت بي الحال منذ نشأت إلي انتقالى عن
مذهب اليهود ليكون عبرة وموعظة لمن يقع إليه
وليعلم متأمله أن اللطف الإلهي أخفى من أن يحاط بكنهه فإن الله يخص بفضله من يشاء ويؤتى الحكمة من يشاء
ويهديه صراطا مستقيما

وذلك أن أبي كان يقال له الرآب يهوذا بن آبون من مدينة فاس التي بأقصى المغرب

والرآب لقب وليس باسم وتفسيره الخبر وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة وأقدرهم على التوسع في الإنشاء
والإعجاز والارتجال لمنظوم العبراني ومنثوره
وكان اسمه المدعو به بين أهل العربية أبا البقاء يحيى بن عباس المغربي وذلك أن أكثر متخصصيهم يكون له اسم عربي
غير اسمه العبري أو مشتق منه كما جعلت العرب الاسم غير الكنية
وكان اتصاله بأمي ببغداد وأصلها من البصرة وهي إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة والكتابة
بالقلم العبرى وهن بنات إسحاق بن إبراهيم البصري اللبوى أعني من سبط لبوي وهو سبط مضبوط النسب لأن
منه كان موسى عليه السلام
وكان إسحاق هذا ذا علوم يدرسها ببغداد وكانت أمهن نفيسة بنت أبي نصر الداوودي وهذا من رؤسائهم
المشاهير وذريته إلى الآن بمصر
وكان اسم أمي باسم أم شوائيل النبي عليه السلام وكان هذا

النبي قد ولد بعد أن مكنت أمه عاقرا لا ترزق ولدا ولا تحمل عدة سنين حتى دعت ربها في طلب ولد يكون ناسكا
لله ودعا لها رجل صالح من الأئمة يقال له عيسى
فرزقت شوائيل النبي وذلك كله مشروح في أوائل سفر شوائيل النبي
فمكنت أمي عند أبي مدة لا ترزق ولدا حتى استشعرت العقم فرأت في منامها أنها تتلو مناجاة حنة أم شوائيل لربها
فندرت أنها إن رزقت ولدا ذكرا تسميه شوائيل لأن اسمها كان باسم ام شوائيل
فاتفق أنها بعد ذلك اشتملت علي وحين رزقتني دعنتني شوائيل وهو إذا عرب السمؤال وكناني أبي أبا نصر وهي
كنية جدي وشغلني أبي بالكتابة بالقلم العبرى ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى أحكمت علم ذلك عند كمال السنة
الثالثة عشرة من مولدي

فشغلني حينئذ بتعلم الحساب الهندي وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ أبي الحسن بن الدسكوري وقراءة علم الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي والتأمل في علاج الأمراض ومشاهدة ما يتفق من الأعمال الصناعية في الطب والمعالجات التي يعالجها خالي أبو الفتح بن البصري

فأما الحساب الهندي والزيج فإني أحكمت علمهما في أقل من سنة وذلك حين كمل لي أربع عشرة سنة وأنا في خلال ذلك لا أقطع القراءة في الطب ومشاهدة علاج الأمراض ثم قرأت الحساب الديواني وعلم المساحة على الشيخ أبي المظفر الشهرزوري وقرأت الجبر والمقابلة أيضا عليه وترددت إلى الأستاذ أبي الحسن بن الدسكوري وأبي الحسن بن

النقاش لقراءة الهندسة حتى حللت المقالات التي كانا يجملانها من إقليدس وأنا في خلال ذلك متشاغل بالطب حتى استوعبت ما عند من ذكرته من الاستاذين من هذه العلوم وبقي بعض كتاب إقليدس وكتاب الواسطي في الحساب وكتاب البديع في الجبر والمقابلة للكروخي لا أجد من يعرف منه شيئا وغير

ذلك من العلوم الرياضية مثل كتاب شجاع بن أسلم في الجبر والمقابلة وغيره وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهيني عن الطعام والمشرب إذا فكرت في بعضها فخلوت بنفسي في بيت مدة وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ورددت على من أخطأ من واضعيها وأظهرت أغلاط مصنفيهما وعزمت على معجزوا عن تصحيحه وتحقيقه وأزريت على إقليدس في ترتيب أشكال كتابه بحيث أمكنني إذا غيرت نظام أشكاله أن استغنى عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة بعد أن كان كتاب إقليدس معجزا لسائر المهندسين إذ لم يحدثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ولا بالاستغناء عن بعضها كل ذلك في هذه السنة أعني الثامنة عشرة من مولدي واتصلت تصانيفي في هذه العلوم منذ تلك السنة وإلى الآن وفتح الله علي كثيرا مما ارتج علي من سبقني من الحكماء المبرزين فدونت ذلك لينتفع به من يقع إليه

وفي خلال ذلك ليس لي مكسب إلا بصناعة الطب وكان لي منها أوفر حظ إذا أعطاني الله من التأييد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التي لا علاج لها فما عالجت مريضا إلا وعوفي وما كرهت علاج مريض إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء وكفوا عن تدبيره فالحمد لله على جزيل نعمته وعظيم فضله واتضح لي بعد مطالعة ما طالعت من الكتب التي بالعراق والشام وآذربيجان وكوهستان الطريق إلى استخراج علوم كثيرة واختراع أدوية لم أعرف أي سبقت إليها مثل الدرقاق الذي سمته بالمخلص ذي القوة النافذة وهو يبرئ من عدة أمراض عسيرة في بعض يوم وغيره من الأدوية التي ركبها مما فيه منافع وشفاء للناس بإذن الله تعالى وقد كنت قبل اشتغالي بهذه العلوم وذلك في السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة مشغولا بالأخبار والحكايات شديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمان القديم والمعرفة بما جرى في القرون الخالية فاطلعت على التصانيف المؤلفة في الحكايات والوادار على اختلاف فنونها ثم انتقلت من ذلك إلى محبة الأسمار والحرفات الطوال ثم إلى الدواوين الكبار مثل ديوان أخبار عنتر وديوان ذي الهمة والبطال والبطال وأخبار الإسكندر ذي القرنين وأخبار

العنقاء وأخبار الطرف بن لوزان وغير ذلك

ثم إنني لما طالعت ذلك اتضح لي أن أكثره من تأليف المؤرخين فطلبت الأخبار الصحيحة فمالت همتي إلى التواريخ فقرأت كتاب أبي علي بن مسكويه الذي سماه تجارب الأمم وطالعت تاريخ الطبري وغيرهما من التواريخ فكانت تمر بي في هذه التواريخ أخبار النبي وغزواته وما أظهر الله له من المعجزات وما خصه به من الكرامات وحباه به من النصر والتأييد في غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرهما وقصة منشئه في اليتيم

والضعف ومعاداة أهله له وإقامته فيما بين أعدائه يجاهدتهم بإنكار دينهم عليهم والدعوة إلى دينه مدة طويلة وسنين كثيرة إلى أن أذن الله له في الهجرة إلى دار غيرها وما جرى للأعداء الذين جاهلوه من النكبات ومصراعهم بين يديه بسيف أوليائه ببدر وغيرها وظهور الآية العجيبة في هزيمة الفرس ورستم الجبار معهم في ألوف كثيرة على غاية من الحشد والقوة بين يدي سعد بن أبي وقاص وهم في فئة يسيرة على حال من الضعف ومدائن كسرى أنوشروان وانكسار الروم وهلاك عساكرهم على يدي أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليه ثم سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعدلها وزهدهما

ذلك فإني كنت لكثرة شغفي بأخبار الوزراء والكتاب قد اكتسبت بكثرة مطالعتي لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم قوة في البلاغة ومعرفة بالفصاحة وكان لي في ذلك ما حمده الفصحاء وتعجب به البلغاء وقد يعلم ذلك مني من تأمل كلامي في بعض الكتب التي ألفتها في أحد الفنون العلمية فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في القرآن فعلمت صحة إعجازة ثم إنني لما هذبت خاطري بالعلوم الرياضية ولاسيما الهندسية وبراهينها راجعت نفسي في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب وكان أبر المحركات لي في البحث عن ذلك مطالعتي كتاب برذويه

الطيب من كتاب كليلة ودمنة وما وجدت فيه

فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا إذا لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسول وتصديق المشايخ والسلف لما صدقناهم في سائر ما تلقيناه عنهم وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب

وإذا نحن حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة في ذاته والحجة موجودة بصحته

فأما الأبوّة والسلفية وحدهما فليستا بحجة إذ لو كانتا حجة لكاتنا أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار كالنصارى فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله وأنه الرازق المانع الضار النافع فإن كان تقليد

الآباء والأسلاف يدل على صحة ما نقل عنهم فإن ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة النصارى ومقالة الجوس وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود خاصة دون غيرهم من الأمم فلا يقبل منه ذلك إلا أن أتوا بدليل على أن آباءهم كانوا أعقل من آباء الأمم وأسلافهم فإن اليهود ادعت ذلك في حق آباؤها وأسلافها فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم في ذلك

وإذا تركنا العصب لهم فنحن نجعل لآبائهم أسوة بسائر آباء غيرهم من الأمم فإذا كانت آباء النصارى وغيرهم قد نقلوا عن آبائهم الكفر والضلال الذي تقرب العقول منه وتنفرد الطباع السليمة عنه فليس بمتنع أن يكون

ما نقله اليهود عن آبائهم أيضا بهذه الصفة فلما علمت أن اليهود لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف علمت أنه ليس بأيديهم حجة

صحيحة بنبو موسى إلا شهادة التواتر

وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد كوجوده لموسى عليهم السلام أجمعين فإن كان التواتر يفيد تصديقا فالثلاثة صادقون ونبوهم معا صحيحة

وعلمت أيضا أي لم أر موسى بعيني ولم أشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئا من ذلك فعلمت أنه لا يجوز للعقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل وشهادة التواتر موجودة لثالثتهم فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدق أحدهم ويكذب الباقي بل الواجب عقلا إما تصديق الكل وإما تكذيب الكل

فأما تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبه أيضا لأننا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق وندبوا إلى الفضائل ونهوا عن الرذائل ولأننا نجدهم ساسوا العالم بسياسة بها صلاح حال أهله

فصح عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى وآمنت بهما

فمكنت برهة أعتقد ذلك من غير أن التزم الفرائض الإسلامية مراقبة لأبي وذلك أنه كان شديد الحب لي قليل الصبر عني كثير البري وكان قد أحسن تربيتي إذا شغلني منذ أول حدثي بالعلوم البرهانية وربي ذهني وخاطري في الحساب والهندسة العلمين اللذين مدح أفلاطون عقل من يتربى ذهنه في النظر فيهما فمكنت مدة طويلة لا يفتح على وجه الهداية ولا تحل عني هذه الشبهة وهي مراقبة أبي إلى أن حالت الأسفار بيني وبينه وبعدت داري عن داره وأنا مقيم على مراقبته والتذمم من أن أفجعه بنفسه وحن وقت الهداية وجاءني الموعدة الإلهية برؤيتي للنبي في المنام ليلة الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسة وكان ذلك بمرآة من آذريجان وهذا شرح ما رأيت

المنام الأول

رأيت كأني في صحراء فيحاء مخضرة الأرجاء يلوح من شرقها شجرة عظيمة والناس يهرعون إلى تلك الشجرة فسألت بعضهم عن حال الناس فقال إن تحت الشجرة شوايل النبي جالس والناس يسلمون عليه فسرت بما سمعته وقصدت الشجرة فوجدت في ظلها شيخا جسيما بهيا وقورا شديدا بياض الشعر عظيم الهبة بيده كتاب ينظر فيه فسلمت عليه وقلت بلسان عربي السلام عليك يا نبي الله فالتفت إلي مبتسما وهش إلي وقال وعليك السلام يا شريكنا في الاسم اجلس لعرض عليك أمرا فجلست بين يديه فدفع إلي الكتاب الذي بيده وقال اقرأ ما تجده بين يديك

فوجدت بين يدي هذه الآية من التوراة نبي أقيم لاهيم مقارب أحييم كاموخا إيلابيشماعون تفسيره نبيا أقيم لهم من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا

وهذه مناجاة من الله عز و جل لموسى و كنت أعرف أن اليهود يقولون إن هذه الآية نزلت في حق شواثيل النبي لأنه كان مثل موسى يعنون أنه كان من سبط ليوى وهو السبط الذي كان منه موسى فلما وجدت بين يدي هذا الآية من التوراة قرأتها وظننت أنه يذهب إلى الافتخار بأن الله تعالى ذكره في التوراة ويشر به موسى عليه السلام

فقلت هنيئا لك يا نبي الله ما خصك الله به من هذه المنزلة فنظر إلي مغضبا وقال أو إياي أراد الله بهذا يا ذكيا ما أفادتك إذا البراهين الهندسية فقلت يا نبي الله فمن أراد الله بهذا قال الذي أراد به في قوله هو فيع ميهار فاران وتفسيره إشارة إلى نبوة وعد بنزولها على جبال فاران فلما قال لي ذلك عرفت أنه يعني المصطفى لأنه المبعوث من جبال فاران وهي جبال مكة لأن التوراة ناطقة نصا بأن فاران مسكن آل إسماعيل

وذلك قول التوراة ويشب بمد نار فاران تفسيره وأقام في برية فاران يعني إسماعيل ولد إبراهيم الخليل عليهما السلام ثم إنه عاد والتفت إلى وقال وأما علمت أن الله لم يبعثني بنسخ شيء من التوراة وإنما بعثني لأذكرهم بها وأحبي شرائعها وأخلصهم من أهل فلسطين فقلت بلى يا نبي الله قال فأني حاجة لهم إلى أن يوصيهم بهم باتباع من لم ينسخ دينهم ولم يغير شريعتهم رأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال أو أرميا أو حزقيال

فقلت لا لعمرى لم يحتج إلى ذلك ثم أخذ المصحف من يدي وانصرف مغضبا فارتعت لغضبه وازدجرت لموعظته واستيقظت مذعورا فجلست وكان وقت السحر والمصباح يقدر في غاية استنارته فنذرت المنام جميعه فإذا أنا قد تخيلته لا يذهب علي منه شيء فعلمت أن ذلك لطف من الله سبحانه وتعالى وموعظة لإزالة الشبهة التي كانت تمنعني من إعلان كلمة الحق والتظاهر بالإسلام فتبت إلى الله من ذلك واستغفرته وأكثرت من الصلاة على رسول الله المصطفى

وأسبغت الوضوء وصليت عدة ركعات لله عز و جل وأنا شديد الفرح والسرور بما قد انكشف لي من الهداية ثم جلست مفكرا فغلب على النوم عند تفكري ونمت

المنام الثاني

فأريت كأني جالس في سكة عامرة لا أعرفها إذ أتاني آت عليه ثياب المتصوفة وزى الفقراء فلم يسلم علي لكنه قال أجب رسول الله فهتته وقلت معه مسرورا مسرعا مستبشرا بلقاء النبي فسار بين يدي وأنا من ورائه حتى انتهى إلى باب دار فدخله

واستدخلني فدخلت وراءه وسرت خلفه في دهليز طويل قليل الظلمة إلا أنه مظلم فلما انتهيت إلى طرف الدهليز وعلمت أنه قد حان إشراف النبي هبت لقاءه هيبة شديدة فأخذت في الاستعداد للقائه وسلامه وذكرت أبي كنت قد قرأت في أحباره أنه كان إذا لقي في جماعة قيل سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإذا لقي وحده قيل السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فعزمت على أبي أسلم عليه سلاما عاما لتدخل الجماعة في السلام لأني رأيت ذلك كأنه الأولى والأليق

ثم أشرفت على صحن الدار وكان مقابل الدهليز مجلس طويل وعن يسرة الداخل مجلس آخر وليس في الدار غير هذين المجلسين

وفي كل واحد من المجلسين رجلان لا أحقق الآن صور أولئك الرجل إلا أنني أظن أكثرهم كانوا شبانا لكنهم كانوا كالمتهيين للسفر

فمنعهم من يلبس ثيابا للسفر وأسلحتهم قريبة منهم ورأيت رسول الله قائما فيما بين المجلسين أعني في الزاوية التي في ذلك الركن من أركان الصحن وكأنه قد كان في شغل وقد فرغ منه وانقلب عنه ليشرع في غيره ففجأته بالدخول عليه قبل شروعه في غيره

وكان لا بسا ثيابا بيضا وعمامته معتدلة اللطافة وعلى عنقه رداء أبيض حول عنقه وهو معتدل القامة نبيل جسيم معتدل اللون بين البياض والحمرة واليسير من السمرة أسود الحاجبين والعينين وشعر محاسنه نصف كأنه شعره وشعره ومحاسنه أيضا معتدلة بين الطول والقصر

ولما دخلت عليه ورأيتته التفت إلى ورائي فأقبل علي مبتسما وهش إلى جدا فذهلت لهيبته عما كنت قد عزمت عليه من السلام فسلمت سلاما خاصا فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

وألغيت الجماعة فلم ألتفت ببصري وقلبي إلا إليه

فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته

ولم يكن بين تسليمي عليه وبين سعيي إليه توقف ولا زمان بل جريت إليه مسرعا وأهويت بيدي إلي يده ومد يده الكريمة إلي فأمسكتها بيدي وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وذلك أنه خطر بقلبي أن النجاة منهم من زعم أن الأسماء الأعلام هي أعرف المعارف ومنهم من يقول إن الأسماء المضمرة هي أعرف المعارف وهو الصحيح لأن الكاف من قولي أنك لا يشارك المخاطب فيه أحد لأنها لا تقع إلا عليه وحده

فرايته قد ملئ ابتهاجا ثم جلس في الزاوية التي بين المجلسين وجلست بين يديه

وقال تأهب للمسير معنا إلى غمدان للغزاة

فلما قال ذلك وقع في نفسي أنه يعني المدينة العظمى التي هي كرسي ملك وأن الإسلام لم يسول عليها بعد وكنت قد قرأت قبل ذلك أن الطريق الأقرب للمسلك إلى الصين في البحر الأخضر وهو أشد البحار أهوالا وأعظمها أخطارا

فلما سمعت ذلك القول من النبي خفت من ركوب البحر وقلت في نفسي
إن الحكماء لا يركبون البحار فكيف أركب البحر
ثم قلت في نفسي أيضا من غير توقف
يا سبحان الله أنا قد آمنت بهذا النبي وبايعته أفيأمرني بأمر ولا أتابعه فإذا أي مبايعة تكون مبايعتي له وعزمت على
السمع والطاعة
ثم وقع لي خاطر آخر وقلت إذا كان معنا رسول الله وأصحابه فإن البر والبحر يكونان مسخرين لنا ولا خوف
علينا من سائر الأخطار
وطاب قلبي بذلك وحسن يقيني وقبولي
وأنا أذكر أن هذه الأفكار والخواطر ظهرت لي وأنا بين يدي النبي في غير زمان أعنى من غير توقف يستبطني به عن
إجابته فما كان بأسرع من ان قلت له سمعا وطاعة يا رسول الله
فقال على خيرة الله تعالى
فقممت بين يديه وخرجت
فما وجدت في الدهليز الظلمة التي كانت فيه عند الدخول
فلما خرجت من الدار ومشيت قليلا وجدت كأني في سوق مراغة فيما بين الصيارف وبين المدرسة القضوية وكأني
أرى ثلاثة نفر

عليهم زي المنصوفة وثياب الزهاد
ومنهم من على بدنه صدره صوف خشن أسود وعلى رأسه متر من جنسها ويده قوس ملفوفة في لباد خلق ويده
الأخرى حربنة نصابها من سعف النخل والآخر متقلد سيفاً غمدته من خوص النخل لأنه كان قد انطبع في خيالي منذ
كنت صغيراً حين قرأت أخبار ظهور دولة الإسلام كيف كان أصحاب النبي ضعفاء فقراء وليس لهم من الآلات إلا
شبيها بما ذكرنا وأنهم كانوا مع ذلك ينصرون على الجيوش الكثيفة والخيول العديدة ذوى الشوكة القوية
فلما رأيت النفر الثلاثة قلت
هؤلاء هم المجاهدون والغزاة هؤلاء أصحاب النبي مع هؤلاء أسافر وأغزو
وكانت الدمعة تبدر من عيني في النوم لفرط سروري بهم وغبطني إياهم
ثم استيقظت والصبح لم يسفر بعد
فأسبغت الوضوء وصليت الفجر وأنا شديد الحرص على إشهار كلمة الحق وإعلان الانتقال إلى دين الإسلام
وكنت حينئذ بمراغة من آذربيجان في ضيافة الصاحب الأئمة فخر الدين عبد العزيز بن محمود بن سعد بن علي بن
حميد المصري رحمة الله عليه

وكان قد ابتلى بمرض قد عافاه الله منه ولى به أنس متقدم
فدخلت إليه في أوائل نهار الجمعة المذكور يومئذ وعرفته أن الله قد رفع الحجاب عني وهداني فما أعظم استبشاره
يومئذ بذلك
وقال

الله إن هذا الأمر ما زلت أتمناه وأترجاه وطالما قد حاورت قاضي القضاة صدر الدين في ذلك وكنا جميعاً نتأسف على

علومك وفضائلك أن لا تكون إسلامية فالحمد لله على ما أهلك به من صلاح وهداية وعلى استجابته دعاءنا في ذلك

فقل لي

كيف فتح الله ذلك عليك وسهله بعد إرتاجه وامتناعه

فقلت ذلك أمر أوقعه الله في نفسي بالإلهام والفكر ودليله العقلي وبرهانه قد كنت قدما أعرفه ودليله في التوراه إلا أني كنت أراقب أبي وأكره أن أفجعه بنفسي تدمنا من الله تعالى والآن قد زالت عني هذه الشبهة مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

فقام الصاحب لفرط سروره قائما واهتز فرحا وكان قبل ذلك لا يقوم إلا بالتكلف وغاب عني واستجلسني إلى عودته وأفاض علي من الملابس أجملها وحملني من المراكب على أنبلها وأمر خواصه بالسعي إلى الجامع بين يدي

وكان الصاحب قد تقدم إلى الخطيب وأمره بالتأخير والتوقف إلى وقت حضوري في المسجد لأن الوقت ضاق إلى أن فرغ الخياطون من خياطة الجبة التي أمر الصاحب بتفصيلها

فسرت إلى الجامع والجماعة في انتظاري وارتفع التكبير من جماعة أهل المسجد حيف أشرفت عليهم

وارتج للمسجد الجامع من صلاحهم على رسول الله ثم رقى الخطيب المنبر ووعظ الناس القاضي صدر الدين ملك الوعاظ أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم بن لل وأطنب في مدحي وإحماد ما أيديني الله به من التيقظ والهداية وبالغ في ذلك مبالغة تجاوز حد الوصف وكان أكثر المجلس متعلقا بي

وفي عشية ذلك اليوم أعني عيد النحر ابتدأت بتحرير الحجج المحممة لليهود وألفتها في كتاب وسميته بإفحام اليهود واشتهر ذلك الكتاب وطار خبره وانتسخ مني في عدة بقاع نسخ كثيرة بالموصل وأعمالها وديار بكر والعراق وبلد العجم

ثم أضفت إليه بعد وقت فصولا كثيرة من الاحتجاج على اليهود

من التوراة حتى صار كتابا بديعا لم يعمل في الإسلام مثله في مناظرة اليهود البتة

وأما المنام الأول والمنام الثاني فإني لم أذكرهما للصاحب ولا لغيره من أهل مراغة إلى انقضاء أربع سنين من أو ان رؤيتهما

وكان ذلك لشيين

أحدهما

أنني كرهت أن أذكر أمرا لا يقوم عليه البرهان فرما يسرع خاطر من يسمعه إلى تكذيبه لأنه أمر نادر قليلا ما يتفق إذا كان العاقل يكره أن يعرض كلامه للتكذيب سرا أو علانية

والثاني

أنني كرهت أن يصل خير المنامين إلى من يحسدني في البلاد على ما فضلني الله به من العلم والحرمة فيجعل ذلك

طريقا إلى التشنيع علي والإزراء على مذهبي فيقول

إن فلانا ترك دينه لمنام رآه والنخدع لأضغاث أحلام

فأخفيت ذلك إلى أن اشتهر كتاب إفحام اليهود وكثرت نسخه وقرأه على جماعة كثيرة من الناس

فلما تحقق الناس أعني أن التقالي من مذهب اليهود إنما كان بدليل وبرهان وحجج قطعية عرفتها وأني كنت أخفي ذلك ولا أروح به مدة مراقبة لأبي وبراه فحيث أظهرت قصة المنامين وأوضحت أنهما كانا موعظة من الله تعالى وتببها على ما يجب تقديمه ولا يحل لي تأخيرها بسبب والد أو غيره وكتبت كتابا إلى أبي إلى حلب وأنا يومئذ بحصن كيفا وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره ولا يقدر على إبطاله وأخبرته أيضا بخبر المنامين فأنحدر إلى الموصل ليلقاني وفاجأه مرض جاءه بالموصل فهلك فيه فليعلم الآن من يقرأ هذه الأوراق أن المنام لم يكن باعنا على ترك المذهب الأول فأن العاقل لا يجوز أن ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحلام من غير برهان ولا دليل لكنني كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل الحجج والبراهين والأدلة على نبوة سيدنا محمد فتلك الحجج والبراهين هي سبب الانتقال والهداية وأما المنام فإنما كانت فائدته الانتباه والازدجار من التماذي في الغفلة والتريص بإعلان كلمة الحق بعد هذا ارتقبا لموت أبي فالحمد لله على الإسلام وكلمة الحق ونور الإيمان ونور الهداية وأسأله الإرشاد لما يرضيه بمحمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا الله

أما بعد حمد الله تعالى على ما أهدى من الهداية وعصم عنه من الغواية والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين فإن سبيل من فضل من العباد بالفطنة والرشاد إن يجد في البحث عن أحوال المعاد والتأمل لما أخذه عن الآباء والأجداد بعين الامتحان والانتقاد فإن رآه فضيلة سما لإدراكها وإن ألقاه رذيلة نجا منت شراكها لتضحى حقايبه بطاننا من الزاد فإن هاتف الموت بالمرصاد ولن يحمى العقبي مضجع في تحصين شرعه وموزع موافقته على ما ينقاد إليه بطبعه ولن يظفر بضالة الحق إلا ناشدوها ولن يبهرج الأباطيل على أنفسهم إلا مفسدوها

الغرض من تأليف الكتاب

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والعناد وأن تظهر ما يعترى كلمتهم من الفساد على أن الأئمة ضوعف ثوابهم قد انتدبوا قبلي لذلك وسلخوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه أو لا يلتزمونه وقد جعل إلى إفحامهم طريقا مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم وأعماهم الله عنه عند تبديلهم ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم

فصل في إزاهم النسخ بنص كتابهم

وهذا أول ما أبتدى به من إلزامهم النسخ من نص كتابهم وما تقتضيه أصولهم نقول لهم هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من

التوراة إذ شرع الله تعالى على نوح عليه السلام القصاص في القتل ذلك قوله شوفىخ دام هاأدام دامو يشافىخ كي بصلم ألوهيم عاما إث هاأدام تفسيره

سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه لأن الله تعالى خلق الآدمي بصورة شريفة وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة إذ شرع الله على إبراهيم عليه السلام ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده وهذه وأمثالها شرائع لأن الشرع لا يخرج عن كونه أمرا أو نهيًا من الله تعالى لعباده سواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار أو ألواح أو غير ذلك فإذا أقروا بأن قد كان شرع قلنا لهم ما تقولون في التوراة هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا

فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبثا إذ لا زيادة فيها على ما تقدم ولم تغن شيئا فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله تعالى فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى وذلك كفر على مذهبكم وإن كانت التوراة أتت بزيادة فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحا أم لا فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين

أحدهما أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحا وهذا بعينه هو النسخ والثاني أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته أو إباحتها ما تقدم تحريمه فإن قالوا إن الحكيم لا يحظر شيئا ثم يبطله لأن ذلك إن جاز مثله كان كمن أمر بشيء ووضه فالجواب

أن من أمر بشيء ووضه في زمانين مختلفين غير مناقض بين أوامره وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد فإن قالوا إن التوراة حظرت أمور كانت مباحة من قبل ولم تأت بإباحة محظور والنسخ المكروه هو إباحتها المحظور لأن من أبيض له شيء فامتنع عنه وحظره على نفسه فليس بمخالف وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه لاستباحته المحظور

فالجواب

إن من أحل ما حظره الشرع في طبقة الحرم لما أحله الشرع إذ كل منهما قد خالف المشروع ولم يقر الكلمة على معاهدها فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه على استباحته فجاز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظورا وأيضا فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضا في كل الأزمنة لأن الله تعالى يكره ذلك المحظور لعينه وإما أن لا يكرهه الله لعينه بل ينهى عنه في بعض الأزمنة فإن كان الله تعالى ينهى عن عمل الصناعات في يوم السبت لعين السبت فينبغي أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضا لأن عين السبت كانت موجودة أيضا في زمانهم وهي علة التحريم وإن كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه فليس النهي عنه لعينه أعنى في جميع أوقات وجود عينه وإذا لزمكم أن تحريم الأعمال الصناعية في يوم السبت ليس بمحرم في جميع أوقات السبت فليس بممتنع أن ينسخ هذا التحريم في زمان آخر وإذا ظهر قائم بمعجزات

الرسالة وأعلام النبوة في زمن آخر بعد فترة طويلة فجائز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة سواء حظر مباحاتها أو أباح محظوراتها وكيف يجوز أن يحاج من جاء بالبينة باعتراض فيما ورد به من أمر ونهي سواء وافق العقول البشرية أو باينها ولا سيما أن الخصوم

قد طال ما تعبدوا بفرائض مباينة للعقول كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أو ان الحج ونجاسة طاهرهم بذلك الرماد بعينه على أن الذي يروم تنزيله منزلة هذا أقرب كثيرا إلى العقل فإن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية وإذا كانت العبادات الشرعية غير عائدة بنفع الله عز وجل ولا دافعة عنه ضررا لتنزهه سبحانه وتعالى عن الانفعال والتأذي بشيء فما الذي يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشرية ثم ينهى أمة أخرى عنها ويحرم محظورا على قوم ويجلته لأولادهم ثم يحظره ثانيا على من يجيء من بعد وكيف يجوز للمتعبد أن يعارض الرسول في تحليله ما كان حراما على قوم ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة وأوجب العقل تصديقه وتحكيمه أليس هذا تحكما وضلالا وعدولا عن الحق

إفحام اليهود والنصارى بالحجة العقلية وإلزامهم الإسلام

لا يسع عقلا أن يكذب نبيا ذا دعوة شائعة وكلمة قائمة ويصدق غيره لأنه لم ير أحدهما ولا شاهد معجزاته فإذا اخصص أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب فقد تعين عليه الملامم والإزراء عقلا ولنضرب لذلك مثلا وهو أنا إذا سألنا يهوديا عن موسى ليه السلام وهل رآه وعين معجزاته فهو بالضرورة يقر بأنه لم يشاهد شيئا من ذلك عيانا فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه

فإن قال إن التواتر قد حقق ذلك وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل كما قد ثبت عقلا وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنبار والأخبار قلنا إن هذا التواتر موجود وعيسى عليهما السلام كما هو موجود لموسى فيلزمك التصديق بهما وإن قال اليهودي إن شهادة أبي عندي بنبوة موسى هي سبب تصديقي بنبوته قلنا له ولم كان أبوك عندك صادقا في ذلك معصوما عن الكذب وأنت ترى الكفار أيضا يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك

إما تعصبا من أحدهم لدينه وكرهية لمباينة طائفته ومفارقة قومه وعشيرته وإما لأن أباه وأشياخه نقلوه إليه فتلقنه منهم معتقدا فيه الهداية والنجاة فإذا كنت يا هذا قد ترى جميع المذاهب التي تكفرها قد أخذها أربابها عن آبائهم كأخذك مذهبك عن أبيك وكنت عالما إنما هم عليه ضلال وجهل فيلزمك أن تبحث عما أخذته عن أبيك خوفا من أن تكون هذه حالته

فإن قال إن الذي أخذته عن أبي أصح مما أخذه الناس عن آبائهم لزمه أن يقيم البرهان على نبوة موسى من غير تقليد لأبيه لأنه قد ادعى صحة ذلك بغير تقليد وإن زعم أن العلة في صحة ما نقله عن أبيه أن أباه يرجح على آباء الناس بالصدق والمعرفة كما تدعى اليهود في حق آبائهم لزمه أن يأتي بالدليل على أن أباه كان أعقل من سائر آباء الناس وأفضل فإن هو ادعى ذلك كذب فيه لأن من هذه صفته يجب أن يستدل على فضائله بآثاره وقول اليهود باطل بأنه ليس لهم من الآثار في العالم ما لغيرهم مثله بل على الحقيقة لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم

الدقيقة ودونوها لمن يأتي بعدهم وجميع ما نسب إليهم من العلوم مع ما استفادوه من علوم غيرهم لا يضاهي بعض الفنون الحكيمة التي استخرجها حكماء اليونان والعلوم التي استنبطتها النبط وأما تصانيف المسلمين فيستحيل لكثيرهما أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنّفه في أحد الفنون العلمية لسعته وكثرته وإن كان هذا موقعهم من الأمم فقد بطل قولهم إن آباءهم أعقل الناس وأفضلهم وأحكمهم ولهم أسوة بسائر آباء الناس المماثلين لهم من

ولد سام بن نوح عليهما السلام فإذا أقروا بتأسي آباءهم بآباء غيرهم فقد لقنوهم الكفر ولزمهم أن شهادة الآباء لا تجوز أن تكون حجة في صحة الدين فلا تبقى لهم حجة بنبوّة موسى إلا شهادة التواتر وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد عليهما السلام كوجوده لموسى وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بنبوته فقد لزمهم التصديق بنبوّة المسيح والمصطفى

وجه آخر في إثبات النسخ بأصولهم

نقول لهم هل أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مس عظما أو وطى فبرا أو حضر ميتا عند موته فإن يصير من النجاسة في حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يجرقها فلا يمكنهم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه فنقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك فيقولون لا نقدر عليه

فنقول لهم فلم جعلتم ان من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف والذي في كتابكم بخلافه

أما إن قالوا لأننا عدنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر

قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا فإن قالوا نعم قد نستغني عنه فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان وإن قالوا لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبدا ماداموا لا يقدرون على سبب الطهارة

فنقول لهم فإذا كنتم أنجاسا على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعجزون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالا تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة لا ستجستموه مع ثوبه فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة

قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة فإن كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها على معتقدكم لا ترتفع بال غسل كنجاسة الحيض فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت على غير ملتكم ولا تستجسون لامسها ولا الثوب الذي تلمسه وتخصيص هذا الأمر أعني نجاسة الحيض بطائفتكم مما ليس في التوراة فهذا كله منكم نسخ أو تبديل فإن قالوا

إن هذا وإن كان النص غير ناطق به فقد جاء في الفقه

قلنا لهم فما تقولون في فقهاءكم هل الذي اختلفوا فيه من مسائل الخلاف والمذاهب على كثرتها لديكم كانت ثمرة اجتهاد واستدلال أو منقولا بعينه
فهم يقولون إن جميع ما في كتب فقهاء نقله الفقهاء عن الأبحار عن الثقات من السلف عن يهوشع بن نون عن موسى الكليم عليهما السلام عن الله تعالى
فيلزمكم في هذا أن المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهاءكم يكون كل واحد منهما ينقل مذهبه فيها نقلا مسندا إلى الله عز وجل
وفي ذلك من الشناعة اللازمة لهم أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافة وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه

فإن قالوا إن هذا الخلاف غير مستعمل لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المذهب في المسألة يرجعون بها إلى اصل واحد هو المقطوع به
قلنا إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد إما لأن أحدهم رجع عما نقل أو طعن في نقله فيلزمه السقوط عن العدالة

ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله
وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر
وما من الفقهاء إلا من ألقى مذهبه في مسائل كثيرة وهذا جنون ممن لا يقر بالنسخ ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهادا ونظرا بل نقلا محضا

إلزامهم النسخ بوجه آخر

نقول لهم ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم
فهل هي التي فارقكم عليها موسى صلى الله عليه وسلم فإن قالوا نعم قلنا
فهل كان موسى عليه السلام وأمنته يقولون في صلواتهم كما تقولون
نفاع شوفار كادول تحيرو تيننو وسانيس لقنو حينوا وقبعنو بأحد مساء
رباع كنفوت هأرض إن نوى قد شيخا باروخ
تفسيره اللهم اضرب بوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعا من أقطار الأرض إلى قدسك سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما تقولون في كل يوم هاشيب شو فطينوا كبار يشؤنا
ويوعصينوا كبتحلا وانبي إث يروشالام عين قد سخا بجيدنوا وناحمينوا بنيانا ه باروخ انا أذوناي بؤي برشالام
تفسيره أردد حكامنا كالأولين ومشيرنا كالأولاد ابتداء وابن يروشليم قرية قدسك في أيامنا وعزنا ببناؤها سبحانك يا باني يروشليم

أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة

وأما صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كدليا التي جعلتموها فرضا هل كان موسى عليه السلام يصومها أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون أو صوم صلب هامان هل هذه الأمور مفترضة في التوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الأعصار

فإن قالوا فكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر قلنا لأن التوراة نطقت بهذه الآية لوثا سيفو على هذا بار اشيرا نوخي فعوى ائحيم ولو نغير عومينو تفسيره لا تریلوا على الأمر الذي أنا موصیکم به شيئا ولا تقصوا منه شيئا وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسحتم تلك الآية

إثبات النسخ على وجه آخر

نقول لهم أليس عندكم أن الله اختار من بني إسرائيل الأبقار ليكونوا خواص في الخدمة للأقداس فيقولون بلى فنقول لهم أليس عندكم أيضا أن موسى عليه السلام لما نزل من الجبل وببده الألواح ووجد القوم عاكفين على العجل وقف بطرف المعسكر ونادى

من كان لله فليحضرني فانضم إليه بنو ليوى ولم ينضم إليه البكور على أن مناداته وإن كان لفظها يقتضي العموم لم يكن أشار بها إلا إلى البكور إذ هم خاصة الله يومئذ دون أولاد ليوى فلما خذله البكور ونصره أولاد ليوى قال الله لموسى

وإقح إث هلويم تاحث كل بخور ببني يسرايل تفسيره وقد أخذت اللبوانيين عوضا عن كل بكر في بني إسرائيل وفي عقيب نزول هذه الآية أليس أن الله عزل الأبقار عن ولاية الاختصاص وأخذ أولاد ليوى عوضا عنهم فهم لا يقدرين على إنكار ذلك وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو النسخ إلزامهم نبوة المسيح صلى الله عليه وسلم فنقول لهم

أليس في التوراة التي في أيديكم لو ياسور شبيط ميهودا ومحط قيومين رغالاف تفسيره لا يزول الملك من آل يهوذا والراسم بين ظهرانهم إلى إن يأتي المسيح ولا يقدرين على جحده فنقول لهم

أفما علمتم أنكم كنت أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام ثم انقضى ملككم فإن لم يكن لكم اليوم ملك فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل

وأيضاً فإننا نقول لهم أليس منذ بعث المسيح عليه السلام استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس واقتضت دولتهم وتفرق شملهم

فلا يقدرّون على جحد ذلك إل بالبهتان ويلزمهم على أصلهم الذي في التوراة أن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه

إلزامهم نبوته ونبوة المصطفى عليهما السلام

نقول لهم ما تقولون في عيسى بن مريم

فيقولون

ولد يوسف النجار سفاحا كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخر به كثيرا من الأشياء

فنقول لهم

أليس عندكم في أصح نقلكم أن موسى عليه السلام قد أطلعه الله

على الإسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً وبه شق البحر وعمل المعجزات فلا يقدرّون على إنكار ذلك

فنقول لهم

فإذا كان موسى أيضاً قد عمل المعجزات بأسماء الله فلم صدقتم نبوته وكذبتم نبوة عيسى

فيقولون

لأن الله تعالى علم موسى الأسماء وعيسى لم يتعلمها من الوحي ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس

فنقول لهم

فإذا كان الأمر الذي يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ولا يريد تعليمه إياه فبأي شيء

جاز تصديق موسى

فيقولون

لأنه أخذها عن ربه

فنقول

وبأي شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه

فيقولون

بما تواتر من أخبار أسلافنا

وأيضاً فإننا نلجئهم إلى نقل أسلافهم بأن نقول لهم بماذا عرفتم نبوة موسى

فإن قالوا بما عمله من المعجزات

قلنا لهم

وهل فيكم من رأى هذه المعجزات

ليس هذا لعمرى طريقاً إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية

من بعدهم ليراها كل جيل فيؤمنوا بها
وليس ذلك بواجب لأنه إذا اشتهر النبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل
عصره ووصل خبره إلى أهل

عصر آخر وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن التواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل وموسى وعيسى
ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه في هذا الأمر متساوون
ولعل تواتر الشهادات بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد لأن شهادة المسلمين والنصارى
بنبوة موسى ليست إلا بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك فتصديقهم بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابتهم
وأما معجزة القرآن فإنها عابدة وإن كانت باقية فتلك فضيلة زائدة لا يحتاج إلى كونها سبب الإيمان
فأما من أعطى ذوق الفصاحة فإن إيمانه يعجزاز القرآن إيمان من شاهد المعجزة لا من اعتمد على الخبر إلا أن هذه
درجة لم يرسخ بها كل واحد

فإن قالوا

إن نبينا يشهد له جميع الأمم فالتواتر به أقوى فكيف تقولون إنه أضعف
قلنا

أو كان إجماع شهادات الأمم صحيحا لديكم

فإن قالوا

نعم

قلنا

فإن الأمم الذين قبلتم شهادتهم مجمعون على تكفيركم وتضليلكم فيلزمكم ذلك لأن شهادتكم عندكم مقبولة

فإن قالوا

لا نقبل شهادة أحد لم يبق لهم تواتر إلا من طافتهم وهي أقل الطوائف عددا فيصير تواترهم وشرعهم لذلك أضعف
الشرائع

ويلزمهم مما تقدم أن كل من أظهر معجزات شهد بها التواتر مصدق في مقالته

ويلزمهم من ذلك التصديق بنبوة المسيح والمصطفى

فصل فيما يحكونه عن عيسى عليه السلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء لا من الأنبياء وأنه كان يطيب المرضى بالأدوية ويوهمهم أن الإنتفاع إنما حصل لهم
بدعائه

وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم في يوم السبت فأنكرت عليه اليهود ذلك

فقال لهم

أخبروني عن الشاه من الغنم إذا وقع في البئر يوم السبت أما تنزلون إليه وتحلون السبت لتخليصه

قالوا

بلى

قال فلم أحللتهم السبت لتخليص الغنم ولا تحلونه لتخليص الإنسان الذي هو أكبر حرمة من الغنم

فأفحمهم ولم يؤمنوا

وأيضاً فإنهم يحكون عنه أنه كان مع قوم من تلاميذه في جبل ولم يحضرهم الطعام فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم

السبت

فأنكرت عليه اليهود قطع الحشيش في يوم السبت

فقال لهم أرايتم لو أن أحدكم لو كان وحيداً مع قوم على غير ملته وأمروه بقطع النبات في يوم السبت وإلقائه

لدوابهم لا يقصدون بذلك كسر السبت أستم تميزون له قطع النبات

قالوا

بلى

قال فإن هؤلاء القوم أمرتم بقطع النبات ليأكلوه وليغتذوا به لا للطعن في أمر السبت

كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لا ينطبع فيها النسخ ولئن كان ما يحكونه من ذلك صحيحاً فلعله كان في ابتداء

ظهور أمر المسيح عليه السلام

ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد

المصطفى

إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراه

نابي أقيم لاهيم مقارب اجتهيم كاموخا ايلا ويشماعون

تفسيره

نبيا أقيم لهم من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا

وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد

فإن قالوا

إنه قال

من وسط إخوتهم وليس في عادة كتابنا أن يعني بقوله إخوتكم إلا بني إسرائيل

قلنا

بلى فقد جاء في التوراة إخوتكم بنو العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله أقيم عوبريم بقبول

احيحم بنى عيسى وهيو شئيم بسيعير

وتفسيره

أنتم عابرون في تخم إخوتكم بني العيص المقيمين في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم

فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد

إبراهيم

وأن قالوا إن هذا القول إنما أشير به إلى شوائب النبي عليه السلام لأنه قال من وسط إخوتهم مثلك

وشموائل كان مثل موسى لأنه من أولاد ليوى يعنون من السبط الذي كان منه موسى
قلنا لهم فإن كنتم صادقين فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائل وأنتم تقولون إن شموائل لم يأت بزيادة
ولا بنسخ أشفق من أن لا تقبلوه

إنه إنما أرسل ليقوى أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرع التوراة
ومن هذه صفة فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم
فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه
ولذلك لم يكن لموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء

وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى واتباعه

الإشارة إلى اسمه في التوراة

قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطبا إبراهيم الخليل عليه السلام
وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكثره جدا جدا
ذلك قوله

وليشماعيل شمعيثخا هني ييرختي أونوا وهفريشي أوثو وهزبيشي أوثو بماداماد
فهذه الكلمة بماداماد إذا عددنا حساب حروفها بالجمل كان

اثنين وتسعين وذلك عدد حساب حروف اسم محمد فإنه أيضا اثنان وتسعون
وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزا لأنه لو صرح به لبدلته اليهود أو أسقطته من التوراة كما عملوا في غير
ذلك

فإن قالوا

إنه قد يوجد في التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساويا لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو
وخالد وبكر فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء
فالجواب

إن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة لكننا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا
أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة
وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية لأنها وعد من الله إبراهيم بما يكون من
شرف إسماعيل وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر

ثم إنا نبين أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوى بماداماد التي معناها جدا جدا
وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة
وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي
كلمات تلك الآية فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفا وأعظمهم قدرا صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم
وإذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد
بطل اعتراضهم

ذكر المواضع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى السلام
وآماد أذوناي مسيناى إشكلي ودهور يقايه مسيعير اثحزى لانا استخى بغبورتيه تمل طوراد إاران وعميه ربوات
قديسين

تفسيره قال إن الله تعالى من سيناء تجلى وأشرق نوره من سيعير وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسي
وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى عليه السلام بل في هذا الجبل
كان مقام المسيح عليه السلام ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة
وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يحثوا عن تأويله
المؤدى إلى الأمر باتباع مقالتهم

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام
سكن إسماعيل في برية فاران

ونطقت التوراة بذلك في قوله

وييسب بمذبار فاران وتماح لو إمو إشامياء يزمن مصرايم
تفسيره

وأقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر

فقد ثبت في التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل

وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل

إسماعيل لأنهم سكان فاران

وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل

محمد وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل

فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله

وسلامه عليه وبشرت به إلا أن اليهود لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين

بل يسلمون المقدمتين ويجحدون النتيجة لقرط جهلهم

وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأي

ذلك قوله تعالى كي بمو أو باذ عيصوث هيما وأين باهيم تبونا

تفسيره إنهم لشعب عادم الرأي وليس فيهم فطنة

فصل في إبطال ما يدعونه من محبة الله إياهم

هم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يحبهم دون جميع الناس ويجب طائفتهم وسلالتهم وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله إلا منهم

ونحن نناظرهم على ذلك

فنقول لهم

ما قولكم في أيوب النبي عليه السلام

أتقرون بنيوته

فيقولون

نعم

فنقول لهم هل هو من بني إسرائيل

فيقولون لا

فنقول لهم

ما تقولون في جمهور بني إسرائيل أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم يربعام بن نباط الذي خرج على ولد سليمان بن داود عليهما السلام وصنع لهم الكيشين من الذهب وعكف على عبادتهما جماعة بني إسرائيل وأهل جميع ولاية دار ملكهم الملقبة يومئذ بشومرون إلى أن

جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان في بيت القدس وقتل في معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان

فما تقولون في أولئك القتل بأسرهم وفي التسعة أسباط والنصف

هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون

فيقولون

لأنهم لأنهم كفار

فنقول لهم

أليس عندكم في التوراة انه لا فرق بين الدخيل في دينكم وبين الصريح النسب

فيقولون

بلى لأن التوراة ناطقة بهذا

ككبركا إن راح كاخيم بيى نفى أدوناي

تفسيره إن الأجنبي والصريح النسب منكم سواء عند الله تورا أحاث ومسقاط إىحاذ بيى لأخيم ويكبر هكار

يشوخيم

تفسيره

شريعة واحدة وحكم واحد يكن لكم والغريب الساكن فيما بينكم

فإذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم ويجب المؤمنين من غير طائفتهم ويتخذ أنبياء وأولياء من

غير سلالتهم فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى بطائفتهم من بين المخلوقين

فصل في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم

إن من سبيل ذوى التحصيل أن يتجنبوا الرذائل وينفروا مما قبح في العقول السليمة ورجح ٦ ب تزييفه عند الأفهام المستقيمة

ولهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال ما تنأى عن مثله العقول وبخالفه المعقول والمشروع فمن ذلك أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود عليهم يقولون في كل يوم في صلواتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ذلك قولهم كل يوم في الصلوات آهبا نعو لام أهبتانو أذوناى ألو هينوا تفسيره

محبة الدهر أحببتنا يا إلهنا هسيينو أبنوا الثور أتيخا تفسيره

أرددنا يا أبانا إلى شريعتك أبنو ملكينو ألو هينو

تفسيره يا أبانا يا ملكنا يا إلهنا

أنا أذوناى أبنو كوالينو

تفسيره

أنت اللهم أبونا ومنقذنا

وأيت كل روذ في باتيخا وأويقي عد انيخا كولا م كسامويام إيجاد ميهيم لوناوار

تفسيره

وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك وأعداء جماعتك كلهم غطاهم البحر واحد منهم لم يبق ويمثلون أنفسهم بعنا قيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم وهذا من قلة عقولهم وفساد نظرهم لأن المعنى بمصالح الكرم إنما يجعل على أعالي حيطانه الشوك حفظا وحيطة للكرم ولستنا نرى لليهود من بقية الأمم إلا الضرر والذل والصغار وذلك مبطل لقولهم وينتظرون قائما يأتيهم من آل داود النبي إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به

وقد كان الأنبياء عليهم السلام ضربوا لهم أمثالا أشاروا بها إلى جلاله دين المسيح وخضوع الجبارين لأهل ملته وإتيانه بالنسخ العظيم فمن ذلك قول يشعيا في نبوءته

عم كيس يحدنا ويرتصو سنيهيم وفارا وأذوب ترعينا وأريا كيا قار يوخل تيين تفسيره

إن الذئب والكبش يرعيان جميعا ويربضان معا وإن البقرة والدب يرعيان جميعا وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة فلم يفهموا من تلك الأمثال إلا صورها الحسية دون معانيها العقلية فتولو عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه وأقاموا ينتظرون الأسد حتى يأكل التبن وتصح لهم حينئذ علامة المسيح ويعتقدون أيضا أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من سواهم ويحجم الموت عن جناهم المدة الطويلة

وسبيلهم أن لا يعدلوا عن تتبع الأسود في غاباتهم وطرح التبن بين أيديها ليعلموا وقت أكلها إياه
وأيضاً فإنهم في العشر الأول من كل سنة يقولون في صلواتهم الهوينوا أو الوهي أدنواتينوا للوخ عل يوشى تيبيل
أرضيخا وتومار كول اسير نستاما بأفوا ذوناى ألوها يسراييل مالاخ وملخو ثوبوبكول ماسالا
تفسيره

يا إلهنا وإله آبائنا املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذي نسمة

الله إله إسرائيل قد ملك ومملكته في الكل متسلطه
ويقولون في هذه الصلاة أيضاً وسيكون لله الملك وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً
ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته
فأما مادامت الدولة لغير اليهود فإن الله حامل الذكر عن الأمم وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته

فهذا معنى قولهم اللهم املك على جميع أهل الأرض

ومعنى قولهم وسيكون الملك لله

ومما ينخرط في هذا السلك قولهم لاما يومى وهليوبين أنا نألوهم

تفسيره

لم تقول الأمم أين إلههم

وقولهم عورا لاما ببشان أذوناى هاقيضاتنا نيخا

وتفسيره

انتبه لم تام يارب استيقظ من رقدتك

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيان والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد

منهم إلا بعدا

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهذيان الذى لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة

فتجروا على الله بهذه المناجاة القبيحة كأنهم ينخون الله بذلك لينتخى لهم ويحمي لنفسه لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك

فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه وينخونه للنباهة واشتهار الصيت

فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده ولا بشك في أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم وأنه

يؤثر في ربه ويحركه بذلك ويهزه وينخيه

وهؤلاء على حقيقة ينبغي أن يرحم جهلهم وضعف عقولهم

وأيضاً فإن عندهم في توراتهم أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجله كرسى منظره

كمنظر البلور

ذلك قوله ويراو إيث الوهي يسراييل وتااحت رغلا وكراي لبنات هسفير وخعيصم مشامام لا ظوهر

ويزعمون أن اللوحين مكتوبان بأصبع الله في قولهم بأصبع ألوهيم

ويطول الكتاب اذا عدنا ما عندهم من كفريات التجسيم على أن أحبارهم قد هذبوا كثيراً عن معتقد آبائهم بما

استفادوه من توحيد المسلمين

وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم مما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها
وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه القضايح استتروا بالجد والبهتان خوفا من فطيع ما يلزمهم من الشناعة

ومن ذلك أنهم ينسبون إلى الله سبحانه وتعالى الندم على ما يفعل فمن ذلك قولهم في التوراه التي بأيديهم

ويتناحم أذوناي كى عاشا إث هأدم بالرض ويعصّب إن لبون

تفسيره وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه

وقد أفرط المترجم في تعصبه وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة وفسر ويتناحم أذوناي

وثاب أذوناي بميمره يعنى وعاد الله في رأيه

وهذا التأويل وإن كان غير موافق للغة فهو أيضا كفر بل مناقض لما يدفوناه من البداء والنسخ

وأما الدليل إلى أن تفسير ويتعصّب أل لبو وشق عليه فهو ما جاء في مخاطبة حواء عليها السلام

سعيصب تليدي بانيم

تفسيره وبمشقة تلدين الأولاد

فقد تبين أن أل عصيب في اللسان العبراني هو المشقة وهذه الآية عندهم في قصة قوم نوح زعموا أن الله تعالى لما

رأى فساد قوم نوح وأن شرهم وكفرهم قد عظما ندم على خلق البشر وشق عليه

ولا يعلمون البله أن من يقول بهذه المقالة لزمه أن الله قبل أن يخلق البشر لم يكن عالما بما سيكون من قوم نوح وغير

ذلك من النقص تعالى الله عما يكفرون

وعندهم أيضا أن الله تعالى قال لشموائيل النبي عليه السلام

نيحا متى كى هملاخي إن شاو الميلخ على يسرايل

تفسيره

ندمت إذ وليتك شأؤول ملكا على بني إسرائيل في موضع آخر من سفر شموائيل

واذوناي نيحام كى هميلخ إني شاؤول على يسرايل

تفسيره

والله ندم على تملكه شأؤول على إسرائيل

وأیضا فإن عندهم أن نوحا النبي عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه قربان ويتلو

ذلك

ويارح أذوناي اث ديبح هنيجو وح ولومر أذوناي ال لبو لواسيف عوذ لقليل إث اه إذا ماعا عبورها إذا م كى

ييصير لیب هاأو راع منعور او ولو أو سيف مود لهلكوث إث كل حاي كا اثير عاسيبي

تفسيره

فاستنشق الله رائحة القنار فقال الله تعالى في ذاته لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على

الرداءة ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان كما صنعت

ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه

ولا نقول أيضا إن اليهود قصدوا تغييرها وأفسادها بل الحق أولى ما اتبع ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة

ذكر السبب في تبديل التوراة

علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة لأن موسى

صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يثبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى ودليل ذلك قول التوراة ويختوب موسى إثم هتورا هزوت وبيتناه ال هكوا هنييم بني ليوى تفسيره

وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بني ليوى وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها هأزينو فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل ذلك قوله ويختوب موسى إثم هتورا هزوت ويلمذاه لبني يسراييل تفسيره وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل وأيضا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة وهاتيت إلى هشيرا هزوت لعيد ببني يسراييل وتفسيره وتكون لي هذه السورة شاهدا على بني إسرائيل وأيضا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة

كئ لوتشا خاخ مفي زرعون تفسيره

لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم يعني أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأثم سيخالفون شرائع التوراة وأن السخط يأتيهم بعد ذلك وتخرب ديارهم ويشتتون في البلاد قال

فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم كالشاهد عليهم الموافق لهم على صحة ما قيل لهم فهذه السورة لما قال الله تعالى عنها أنها لا تنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى وأيضا فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس

ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة فلما رأى القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن القصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن

ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله

وهذا يدل على انه أعنى الذي جمع هذه القصول التي بأيديهم رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسم والندامة على ماضى من أفعاله والإقلاع عن مثلها وغير ذلك مما تقدم ذكره وأيضا فمما يستدل به على بطلان تأويلاتهم وإفراطهم في العصب وتشديد الإصر ما ذكروه في تفسير هذه الآية ريست بكورى إذ ماشخا تخا تاي بيت أدوناى ألوهيخا لو تبشيل كدى باحليب أمو

تفسيره
بكور ثمار أرضك تحمل إلى بيت الله ربك لا تتضح الجدي بلبن أمه

والمراد من ذلك أنهم أمروا عقيب افتراض الحج عليهم أن يستصحوا معهم إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم وأبكار مستغلات أرضهم لأنهم قد كان فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخولة البقرة والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام ومن اليوم الثامن فصاعدا تصلح أن تكون قربانا لله تعالى فأشار في هذه الآية في قوله لا تتضح الجدي بلبن أمه

إلى أنهم لا يبالغوا في إطالة مكث بكور أولاد الغنم والبقر وراء أمهاتهم بل يستصحوا أبكارهن اللاتي قد عبرن سبعة أيام من ميلادهن معهم إذا حجوا إلى بيت المقدس ليتخذوا منها القرابين فتوهم المشائخ البلة المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها أن للشرع يريد بالإنضاج هنا إنضاج الطيخ في القدر وههم صادقين في هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطيخ تحريم الأكل إذ لو أراد للشرع الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك

وما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائل اللحمان بالبن وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والنقلة وكذبهم على الله تعالى وتشديد الإصر على طائفتهم

فأما الدليل على تفسير تبشيل الإنضاج الذي هو البلوغ فهو قول رئيس السقاة ليوستف الصديق وهما في السجن إذ شرح له رؤياه فقال في جملة كلامه ويكيفن شلوشا ساريقيم وهي حفوراحت عالنا نصاه هبشيلو سكلوئيها غنايين

تفسيره
وفي الكرمة ثلاثة عناقيد وهي كأنها قد أثمرت وصعد نوارها ونضجت عنا قيدها عبا فقد تبين أن الإنضاج الذي يعبر عنه بال هبشيلو إنما هو البلوغ

ولا ينبغي للعاقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على الخال واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذها بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها واندرس قدم آثارها وتعذر الوقوف عليها لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمصادمات وإخراب البلاد وإحراق بعضها فلا تزال هذه الفنون متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلا وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المناولة لها بالإذلال والإيذاء كان حظها من اندراس الآثار أكثر

وهذه الطائفة بلا شك أعظم الطوائف حظا مما ذكرناه لأنهما من أقدم الأمم عهدا ولكثرة الأمم التي استولت عليها من الكنعانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام وما من هذه الأمم إلا من فصلهم أشد القصد وطلب استئصالهم وبالغ في إحراق بلادهم وإخراجهما وإحراق كتبهم إلا المسلمين

فإن الإسلام صادف اليهود تحت ذمة الفرس ولم يبق لهم مدينة ولا جيش إلا العرب المتهودة بخبير فأشد على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم العصاة مثل أحاب وأحزيا وأمصيا ويهورام ويرعام بن نباط وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في تطليهم ليقنلوهم وعبوا الأصنام وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها وتعليم رسوم عبادتها وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصارا متصلة

فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قبل ملوكهم ومنهم على أنفسهم فما ظنك بالآفات المتفتنة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد عليهم وقتل أئمتهم وإحراق كتبهم ومعهم إياهم عن القيام بشرائعهم فإن الفرس كثيرا ما منعوهم عن الختان وكثيرا ما منعوهم عن الصلاة لمعرفةهم أن معظم صلوات هذه الطائفة دعاء على الأمم بالوار وعلى العالم بالخراب سوى بلادهم التي هي أرض كنعان فلما رأَت اليهود الجدم من الفرس في منعهم عن الصلاة اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولا من صلواتهم وسموها الخزانة وصاغوا لها ألحانا عديدة وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن وأن المصلى يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره وأما الخزانة فيشاركه جماعة في الجهر بالخزانة ويعاونونه في الألحان فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم زعمت اليهود أنهم يغنون أحيانا وينوحون أحيانا على أنفسهم فتركوهم وذلك ومن العجب أن دولة الإسلام لما جاءت مقرة للذمة على أديانها وصارت الصلاة مباحة لهم صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح يجعلونها عوضا عن الصلاة ويستغنون بها عنها من غير ضرورة تبعثهم على ذلك

فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام

هم يزعمون أن المصطفى وشرف وعظم وكرم كان قد رأى أحلاما تدل على كونه صاحب دولة وأنه سافر إلى الشام في تجارة لخديجة رضوان الله عليها واجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه فعلموا أنه صاحب دولة فأصبحوه عبد الله بن سلام فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا القصاحة المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام وأنه قرر في شرح النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر ليجعل بزعمهم أولاد المسلمين مزرمة وهذه كلمة جمع واحده مزرمة وهو اسم لولد الزنا لأن في شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كان أولادها معلودين من أولاد الزنا

فلما كان النسخ مما لا ينطبع فهمه في عقولهم ذهبوا إلى أن هذا الحكم في النكاح من موضوعات عبد الله بن سلام قصد به أن يجعل أولاد المسلمين مزرمة بزعمهم

ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام مزيير من وجهين وجعلوا منتظرهم مزيير من وجهين وذلك أنهم لا يشكون في أن داود بن بشاى بن عابد وأبو هذا عابد يقال له بو عز من سبط يهوذا وأمه يقال لها روث الموابية من بني مؤاب ومؤاب هذا منسوب عندهم في نص التوراة في هذه القصة وهي أنه لما أهلك الله تعالى أمة لوط لفسادها ونجا بابنتيه فقط خالنا ابتناه أن الأرض قد خلت ممن تستيقيان منه نسلا فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا لشيخ وإنسان لم يبق في الأرض ليأتينا كسبيل البشر فهمى نسقى أبانا حمرا ونضاجعه لنستبقى من أبينا نسلا ففعلنا ذلك بزعمهم لعنهم الله وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر ولم يعرف ابنتيه ثم وطنهما فأحبتهما وهو لا يعرفهما

فولدت إحداهما ولدا سمته مؤاب تعنى أنه من الأب والثانية سميت ولدها بن عمى تعنى أنه من قبيلتها وذلك الوالدان عند اليهود مزميم ضرورة لأنهما من الأب وابنتيه فإن أنكروا ذلك لأن التوراة لم تكن نزلت لهم ذلك لأن عندهم

أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته أخفى نكاحها وقال هي أختي علما منه بأنه إذ قال ذلك لم يبق للظنون إليهما سبيل وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت كان في ذلك الزمان مشروعا فما ظنك بنكاح البنت الذي لم يجز ولا في زمن آدم عليه السلام وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي في التوراة الموجودة بأيدي اليهود فلن يقدرُوا على جحدها فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط مزميم إذ توليدهما على خلاف المشروع

وإذا كانت روث من ولد مؤاب وهي جدة داود عليه السلام وجدة مسيحيهم المنتظر فقد جعلوا هما جميعا من نسل الأصل الذي يطعنون فيه فمن أفحش الخال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة قد سقى الخمر حتى سكر سكرًا حال بينه وبين معرفة ابنتيه فضاجعته إحداهما واستنزلت منيه وقالت عنه وهو لا يشعر قاتلهم الله أنى يؤفكون نطق كتابهم في قوله ولو ياذا ع بشخبا وبقوماه

تفسيره

ولم يشعر باضطجاعها وقيامها

وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحبل لأنه من الخال أن تملق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب حسه لفرط سكره

ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية فعلمت أيضا وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم في ليلة ويلق منه أيضا في الليلة الثانية إلا أن العداوة التي مازالت بين بني عمون مؤاب وبين بني إسرائيل بعثت واضح هذا الفصل على تلفيق هذا الخال ليكون أعظم الأخبار فحشا في حق بني عمون ومؤاب

وأیضا فأن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولى طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم

مقتلة عظيمة ثم انتقل الأمر إلى داود بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم وكان عزرا هذا خادما لملك الفرس حظيا لديه فتوصل إلى بناء بيت

المقدس وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم

فلما كان هارونيا كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودى فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود أحدهما قصة بنات لوط

والآخر قصة ثامار وسيأتي ذكرها

ولقد بلغ لعمرى غرضه فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون بل كانت ملوكهم هارونيين

وعزرا هذا ليس هو العزيز كما يظن لأن العزيز هو تعريب العازار

فأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير عن حاله لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ولأن عزرا عندهم ليس بنبي وإنما يسمونه عزرا هوفير وتفسيره الناسخ

وأیضا فإن عندهم في التوراة قصة أعجب من هذه وهي أن

يهوذا بن يعقوب عليهما السلام زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها ثامار

وكان يأتيها مستديرا فغضب الله من فعله فأماتته فزوجها من ولده الآخر فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض علما منه بأنه إن أولدها كان

أول الأولاد مدعوا باسم أخيه ومنسوبا إلى أخيه فكره الله ذلك من فعله فأماتته أيضا فأمرها يهوذا باللحاق بأهلها إلى أن يكبر شيلا ولده ويتم عقله حذرا من أن يصيبه ما أصاب أخويه فأقامت في بيت أبيها فماتت من بعد زوجة

يهوذا وأصعد إلى منزل يقال له ثمناث ليجز غنمه فلما أخبرت ثامار بإصعاد حميها إلى ثمناث لبست زي الزواني وجلست في مستشرف على طريقه لعلمها بشيمه فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبتة بالأجرة فوعدها مجدي

ورهن عندها عصاة وخاتمه ودخل بها فعلقته منه بفارص وزارح ومن نسل فارص هذا كان بوغز المتزوج بروث التي من نسل مؤاب ومن ولدها كان داود النبي عليه السلام

وأیضا ففي هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ وهي أن يهوذا لما أخبر بأن كمننته قد علقته من الزنا أفتى بإحراقها فبعثت إليه بخاتمه وعصاه

وقالت من رب هذين أنا حامل

فقال صدقت مني ذلك واعتذر بأنه لم يعرفها ولم يعاودها

وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزواني

وأن التوراة أتت بنسخ ذلك وأوجبت الرجم عليهن

وفيها أيضا من نسبتهم الزناء والكفر إلى بيت النوبة ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النبي عليه السلام

وهذا كله عندهم في نص كتابهم وهم يجعلون هذا نسبا لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر ثم يرون المسلمين أحق بهذا اللقب من منتظرهم

وكذبهم في هذا القول من أظهر الأمور وأبينها

فإما دفعهم لإعجاز القرآن للفصحاء فلست أعجب منه إذا كانوا لا يعرفون من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعي مع طول مكنهم فيما بين المسلمين وأيضاً فمن اعتراضهم على المسلمين أنهم يقولون كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضاً يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضاً فنقول لهم أما تحسين جواز ذلك فقد ذكرناه في أول هذه الكلمة وأما تعجبكم منه وتشنيعكم به فإن كتابكم غير خال من مثله فإن أنكروا ذلك قلنا لهم

ما تقولون في السبت أيهما أقدم افتراضها عليكم أو افتراض الصوم الأكبر فيقولون السبت أقدم

لأنهم إن قالوا الصوم أقدم كذبناهم بأن السبت فرضت عليهم في أول إعطائهم المن والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ومخالفتهم وعبادتهم العجل ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك في هذا اليوم فرض عليهم صومه وتعظيمه فإذا أقروا بتقديم السبت قلنا لهم

ما تقولون في يوم السبت هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا فيقولون بلى فنقول لهم

فلم فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ولكم في ذلك الصوم أنواع من المشقة منها القيام جميع النهار أليس هذا أيضاً قد نسخ فريضة السبت وأما سيدنا رسول الله وعظم وكرم فله فيما بينهم اسمان فقط فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أحدهما فاسول وتفسيره الساقط والثاني موشكاع وتأويله الجنون

وأما القرآن العظيم فأهم يسمونه فيما بينهم قالون وهو اسم للسوءة بلسانهم يعنون بذلك أنه عورة للمسلمين وبذلك وأمثاله صاروا أشد عداوة للذين آمنوا فكيف لا يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

فصل معرب عن بعض فضائحهم

ومن الفضائح التي عندهم مذهبيهم في قصة اليتامى والخالوص وذلك أنهم أمروا أنه إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل

أجنبي بل ولد حميها ينكحها وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج
فإن أبي أن ينكحها خرجت مشككية منه إلى مشيخة قومها قائلة
قد أبي ابن حمي أن يستبقى إسما لأخيه في إسرائيل ولم يرد نكاحي
فيحضره الحاكم هناك ويكلفه أن يقف ويقول لوجافا صتي لفتختاه
تفسيره

ما أردت نكاحها

فتتناول المرأة نعله فتخرجها عن رجله وتمسكها بيدها وتبصق في وجهه وتنادى عليه كاخا يعاسى لا اه يش اشير لو
بينى إثم بيت أحيو

تفسيره كذا فليصغ بالرجل الذي لا يبنى بيت أخيه ويدعى فيما بعد اسمه بالمخلوع الععل وينبز بيته بهذا اللقب أعنى
بيت المخلوع الععل هذا كله مفترض في التوراة عليهم

وفي حكمة ملجئة للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة أن تشتكي إلى نادي
قومها فذلك مما يحمله على نكاحها

فإن لم يردعه الحياء من ذلك فرجما إذا حضر استحيا أن يقول ما أردت نكاحها فإن لم يخجله ذلك فرجما يستحي من
انتهاك العرض بلخ نعله وكون المرأة تشيل نعله وتبصق في وجهه وتنادي عليه بقلعة البركة والمروءة
فإن هو استهان بذلك فرجما استعظم أن ينز باللقب ويبقى عليه وعلى آله من بعده عاره وقبح اسمه فيلجته ذلك إلى
نكاحها

فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك وليس في التوراة غير هذا
ففرع فقهاؤهم على ذلك ما فيه خزيهم وفضيحتهم وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخي زوجها المتوفى
أكرهوه على النزول عنها ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بحضور من مشيختهم الحاخاميم ولقنوها أن تقول
مباين بيا من لها قيم لا جو شيم يسرايل لوا ابا ييمي

تفسيره أبي ابن حمي أن يقيم لأخيه اسما في إسرائيل ولم يرد نكاحي فيلزمونها الكذب عليه لأنه أراد فمنعته فكان
الإمتاع منها والإرادة منه

وإذا لقنوها تلك الألفاظ فهم يأمرونها بالكذب ويحضرونه ويأمرونه يان يقوم ويقول

لوحا فاصيتي لفتحتا

تفسيره ما أردت نكاحها

ولعل ذلك سؤله ومناه فيأمرونه بأن يكذب

وأما إخراقها به وبصقها في وجهه فغاية التعدي لأنه ما كفاهم بأن يكذبوا عليه وألزموه بأن يكذب حتى ألزموه
عقابا على ذنب لم يجنه فصاروا كما قال الشاعر
وجرم جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العقاب

ذكر السبب في تشديدهم الإصر على أنفسهم

تشديدهم الإصر على أنفسهم له سببان أحدهما من جانب فقهاءهم وهم الذين يدعون الحاخاميم وتفسير هذه اللفظة الحكماء

وكان اليهود في قديم الزمان تسمى فقهاءها بالحكماء وكانت لهم في الشام والمدائن مدارس وكان لهم ألوف من الفقهاء وذلك في زمان دولة النبط البابليين والقرس ودولة اليونان ودولة الروم حتى اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما وهما المشنا والتلمود فاما المشنا فهو الكتاب الأصغر وحجمه نحو ثمانمائة ورقة وأما التلمود فهو الكتاب الأكبر ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرتة ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف وأنه كلما مر عليه جيل

زادوا فيه وأن في هذه الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه أدى إلى الخلل الظاهر والمتناقض القاحش فقطعوا الزيادة فيه ومنعوا من ذلك وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه وإضافة شيء آخر إليه وحرموا من يضيف إليه شيئاً آخر فوقف على ذلك المقدار وكان أئمتهم قد حرموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة الأجانب أعني من كان على غير ملتهم وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباجة من لم يكن على دينهم لأنهم أعنى علماءهم وأئمتهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة مع كونهم تحت الذل والعبودية إلا إن صدوهم عن مخالطة

مخالطة من كان على غير ملتهم وحرموا عليهم مناكلتهم والأكل من ذبائحتهم ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يتدعونها من أنفسهم ويكذبون بها على الله تعالى لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكله غيرهم من الأمم لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى

وحرم عليهم في التوراة أكل ذبائح الأمم الذين يذبحونها قربانا للأصنام لأنها قد سمي عليها غير اسم الله تعالى فأما الذبائح التي لم تذبح قربانا فلم تنطق التوراة بتحريمها وإنما نطقت التوراة بإباحتهم تناول المأكول من يدي غيرهم من الأمم في قول الله تعالى لموسى حين اجتازوا على أرض بني العيص لوثنكار وبام كي لو ابنتين نخامياً رحام عاذ بذراع كف راغل

تفسيره

لا تتحرشوا بهم فإني لا أعطيك من أرضهم ولا مسلك قدم أو حل تشبروميا تام بنسيف زاخلين وعم ياعم تخزو بلاء تام تكيف وشيدثيم تفسيره مأكولا تماروا منهم بفضة وتأكلوه وأيضا ماء تشتروا منهم بفضة وتشربوا فقد تبين من نص التوراة أن المأكول مباح لليهود تناوله من يد غيرهم من الأمم وأكله وهم يعلمون أن بني العيص كانوا عابدي الأصنام وأصحاب كفر

فلا يكون للمسلمون على كل حال بدون هذه المنزلة أعني أن يساوى بينهم وبين بني العيص فينبغي لهم أن يأكلوا من مأكولات المسلمين وأن يجعلوا للمسلمين تفضيلاً بتوحيدهم وإيمانهم وكونهم لا يعبدون الأصنام فموسى عليه

السلام إنما فهمهم عن مناكحة عباد الأصنام وأكل ما يذبحونه بأسمائها
ولسنا نعرف أحد من المسلمين يذبح ذبيحة باسم صنم ولا وثن
فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسلمين بل ما بال من سكن بالشام وبلد العجم منهم لا يأكلون من أيدي
المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز وغير ذلك من المأكولات
فإن قالوا لأن التوراة حرمت علينا أكل الطريفا
قلنا لهم إن الطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيره من السباع ودليل ذلك قول التوراة وباساد
بسادى طريفا لوثر حانو لمكيلب تشيلخووثو
تفسيره

ولحما في الصحراء فريسة لا تأكلوا للكلب ألقوه
فلما نظر أئمتهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام وأن التوراة قد صرحت بأن
تحريم مواكلتهم ومخالطتهم خوف استدراجهم بالمخالطة إلى مناكلتهم وأن مناكلتهم إنما تكره خوف استباحتها
الانتقال إلى أديانهم وعبادة أوثانهم
ووجدوا جميع هذا واضحا في التوراة اختلقوا كتابا سموه هلكت شحيطا ومعناه علم الذباجة

ووضعوا في هذا الكتاب من تشديد الإصر عليهم ما شغلهم به عما هم فيه من الذل والمشقة وذلك أنهم أمرهم
بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواء ويتأملوها حتى يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فإن خرج منها الهواء حرموه وإن
كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه وأيضا فإنهم أمروا الذي قد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة
ويتأمل ياصبعه فإن وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه
ولم يأكلوه وسموه طريفا ويعنون بذلك أنه نجس
وهذه التسمية هي أول التعدي منهم لأنه ليس موضوعها في اللغة إلا المفترس الذي يفترسه بعض الوحوش
ودليل ذلك قول يعقوب لما جازوه بقميص يوسف ملوثا بالدم

ويكبراه ويومر كثوث بني حيارعا احالا ثهوطاروف طوارف يوسف
تفسيره فتأملها وقال دراعة ابني وحشي رديء أكله افتراسا افترس يوسف
فقد تبين أن تفسير طروف طوارف يوسف افتراسا افترس يوسف فالطريفا هي الفريسة
ودليل آخر أنه قال ولحما في الصحراء فريسة لا تأكلوا
والفريسة أبدا إنما توجد في الصحراء وليس ينبغي أن يعجب من ذلك
فإن هذا النهي عن أكل الفريسة إنما ترك على قوم ذوي أخبية يسكنون البر
وذلك أنهم مكثوا يترددون في التيه والبراري تمام أربعين سنة وكانوا أكثر هذه المدة لا يجدون طعاما إلا المن فلما
اشتد قرمهم إلى اللحم جاءهم موسى بالسلوى وهو طائر صغير يشبه السماني
وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ويذهب بالخنزوانة والقساوة

وذلك ان هذا الطائر يموت إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد
فيلهمه الله عز و جل أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوان المطر والرعد فيخرج

من الجزائر ويتشتر في الأرض

فجلب الله إليهم هذا الطائر لينتفعوا بما في أكل لحمه من الخاصة وهي تلبين القلوب القاسية وكان قد اشتد قرمهم إلى اللحم قبل ذلك بحيث لم يجمعهم من أكل الفريسة والميتة إلا نزول تحريمها في التوراة فقد تبين التعدي من شائخهم في تفسير الطريفا وأنه الفريسة

فأما فقهاؤهم فإنهم اختلقوا من أنفسهم هذيانا وخرافات تتعلق بالرثة والقلب وقالوا ما كان من الذبائح سليما من هذه الشروط فهو دخيا وتفسير هذه الكلمة طاهر وما كان خارجا عن هذه الشروط فهو طريفا وتفسير هذه الكلمة حرام وقالوا معنى قول التوراة ولحما فريسة في الصحراء لا تأكلوا للكلب ألقوه يعني إذا ذبحتم ذبيحتكم ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل تبيعوها على من ليس من أهل ملتكم وذلك أنهم فسروا قوله للكلب ألقوه أي لمن ليس على ملتكم أطعموه وبيعوه ألا إنهم على الحقيقة أشبه بالكلاب وأحق بهذا اللقب والتشبيه لقبح عقولهم وسوء ظنونهم واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم

ثم إن اليهود فرقان إحداها عرفت أن أولئك السلف الذين ألقوا المشنا والتلمود وهم فقهاء اليهود قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام أصحاب حماقات ورقاعات هائلة من ذلك أن أكثر مسائل فقهم ومذهبهم يختلفون فيها ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل يوحى الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم يقول الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان وهم يسمون هذا الصوت بث قول فلما نظر اليهود القراءون وهم أصحاب عانان بن داود وبنيامين إلى هذه المخالات الشنيعة وإلى هذا الافتراء الفاحش والكذب الباراد انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقالتهم وكذبهم في كل ما افتروا على الله تعالى وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله وأنهم ادعوا النبوة وزعموا أن الله تعالى كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات فقد فسقوا ولا يجوز قبول شيء منهم فخالقوهم في سائر

ما أضلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة وأكلوا اللحم باللبن ولم يجرموا سوى ابن الجدي بلبن أمه فقط مراعاة للنص أعني قول التوراة لا يوضح الجدي بلبن أمه

وأما الترهات التي ألقها الخخاميم الفقهاء وسموها هلكت شحيطا أعني علم الذبائح وهي المسائل الفقهية التي رتبها الفقهاء

ونسبوا إلى موسى عن الله تعالى

فإن القرائين اطرحوها مع غيرها وألغوها وصاروا لا يجرمون شيئا من الذبائح التي يتولون ذباحتها البتة فهذا حال هذه الطائفة من اليهود أعني القرائين ولهم أيضا فقهاء أصحاب تصانيف إلا أنهم لم يبالغوا في الكذب على الله تعالى إلى حد أن يدعوا النبوة ولا نسوا شيئا من تفاسيرهم إلى النبي ولا إلى الله تعالى بل إلى اجتهادهم والفرقة الثانية يقال لهم الربانيون

وهم أكثر عددا وهم شيعة الخخاميم الفقهاء المفترين على الله عز وجل الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل

مسألة بالصوت الذي أسموه بث قول

وهذه الطائفة أشد اليهود عدواة لغيرهم من الأمم لأن أولئك الفقهاء المفتريين على الله تعالى قد أوهمهم أن المأكولات والمشروبات إنما تحل للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى موسى وإلى الله تعالى وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا وأنهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله من الترهات التي أقسلوا بها عقولهم فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم كما ينظر الرجل العاقل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها

فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها لشدة مباينتها لغيرها من الأمم ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين

النقص والإزراء إلى أبعد غاية

وأما الطائفة الأولى وهم القراؤون

فأكثرهم خرج إلى دين الإسلام أولا فأولا إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام

لسلامتهم من محاولات فقهاء الربانيين أصحاب الافتراء الزائد الذين شددوا على جماعتهم الإصر

فقد تبين مما ذكرناه أن الحخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم وضيقوا عليهم المعيشة والإصر فقصدوا

بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم

والسبب الثاني في تضيق الإصر عليهم أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها فما من جماعة منهم في بلدة إلا إذا

قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في التورع والاحتياط فإن كان

من المتفقهة فهو يشرع في إنكار أشياء عليهم ويوهمهم التنزه عما هم فيه وينسبهم إلى قلة الدين وينسب ما ينكره

عليهم إلى مشائخه وأهل بلده ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذبا

ويكون قصده بذلك إما الرئاسة عليهم وإما تحصيل غرض منهم ولا سيما إن أراد المقام بينهم أو التدبير بينهم فتراه

أول ما ينزل بهم لا يأكل من أطعمتهم ولا من ذبائحهم ويتأمل سكين ذباحهم وينكر عليهم بعض أمرهم ويقول أنا

لا آكل إلا من ذباجة يدي

فتراهم معه في عذاب لا يزال ينكر عليهم الحلال والمباح ويوهمهم تحريمه

بإسنادات يخترعها حتى لا يشكوا في ذلك

فإن وصل بعد مدة طويلة من أهل بلده من يعرف أنه كاذب في تلك الإسنادات فلا يخلو أمره من أن يوافق أو

يخالفه

فإن وافقه فإنما يوافقه ليشاركه في الرئاسة الناموسية التي حصلت له وخوفا من أن يكذب إن خالفه وينسب إلى قلة

الدين

وأیضا فإن القادم الثاني في أكثر الأمر يستحسن ما اعتمده القادم الأول من تحريم المباحات وإنكار المحللات ويقول

لهم لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة وشيد سياج الشرع عندهم

وإذا لقيه على الافراد يشكره ويجزيه خيرا أو يقول له لقد زين الله بك أهل بلدنا

وإن كان القادم الثاني ينكر ما أتى به القادم الأول من الإنكار عليهم والنضيق لم يبق من الجماعة واحد يستصحبه

ولا يصدق بل جميعهم ينسبونه إلى قلة الدين لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضيق المعيشة وتحريم المحللات هو المبالغة

في الدين والزهد وهم أبدا يعتقدون أن الدين والحق مع من يضيق عليهم ولا ينظرون هل يأتي بدليل أم لا ولا

يبحثون عن كونه محققا أم مبطلا
هذا حال القادم إلى بلد من متفقيتهم

فأما إن كان القادم أحد أبحار اليهود وعلماهم فهناك ترى العجب من الناموس الذي يعتمده والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه فتراهم مستسلمين إليه وهو يحتلب درهم ويحتلب بحيله درهمهم حتى لو بلغه أن بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق في يوم السبت أو اشترى لبنا من بعض المسلمين أو حمرا ثلبه وسبه في مجمع من يهود المدينة وأباحهم عرضه ونسبه إلى قلة الدين فهذا السبب والسبب الذي ذكرناه قبله هما العلة في تشديد الإصر الذي جعلته اليهود على أنفسهم وتضييق المعيشة عليها وتجنبهم مآكل غيرهم ومخالطة من كان على غير ملتهم وقد أوضحناهما للمتأمل

خاتمة الكتاب

أحق الناس بأن يوسم بالجهالة وينبذ بالضلالة من كان طبعه آبيا عن الانقياد للحقائق وعقله بعيدا عن فهم اليقين فأما من شقت درجته عن ذلك وكان مع امتناعه عن تسليم الحقائق مسرعا إلى قبول الباطل وتصديق المستحيل فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط وهذه الطائفة أحق الناس بذلك لأن آباتهم كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات الحسية والنار السماوية ما لم يره غيرهم من الأمم وهم مع ذلك يهيمون برجم موسى وهارون في كثير من الأوقات وكفى يتأذهم العجل في أيام موسى وإيتارهم العودة إلى مصر والرجوع إلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء ثم عبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون ثم انضمامهم إلى أبشالوم الولد العاق ولد داود من بنت ملك الكرج فإن سوادهم الأعظم انضم إلى هذا الولد العاصي العاق وشلوا معه على حرب الملك الكبير والنبى الكريم نبي الله داود ثم أنهم لما عادوا إلى طاعة داود جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إليه مستغفرين مما ارتكبه مستبشرين بسلامة الملك داود بحيث اختصم

الأسباط مع سبط يهوذا إذا عبروا بالملك الأردن قبل مجيء عساكر الأسباط غيرة منهم على السبق إلى خدمة الملك وتعاتبوا في ذلك عتابا دقيقا فقال سبط يهوذا نحن أحق الناس بالسبق إلى الملك والاختصاص بخدمته لأنه منا فلا وجه لعتبكم علينا يا بني إسرائيل

فنبغ فضولي يقال له شيع بن بكري فنادى برفيع صوته لا نصيب لنا في داود ولا حظ في ابن يساي ليمض كل منكن إلى خبائه يا إسرائيليين

فما كان أسرع من انفضاض عسكر بني إسرائيل عن داود بسبب كلمة ذلك الفضولي ولما توصل الوزير يؤاب إلى قتل ذلك المشعب عادت العساكر جميعها إلى طاعة داود فما كان القوم إلا مثل رعا عهمج العوام الذين تجمعهم دبدبة وتفرقهم صيحة وأما عبادتهم الكباشين وتركهم الحج إلى القدس ثم إصرارهم على مخالفة الأنبياء إلى انقضاء دولتهم فما لا يصدر

عن متمسك بأهداب العقل وسبيلهم أن لا يتطرقوا إلى معائب أحد من الأمم إذا كانت هذه مخازيهم وفضائحتهم فأما تسرعهم إلى قبول الباطل والمستحيل فإننا نذكر منه طرفا ينبئ عن

قلة عقولهم وهو ما جرى في زماننا من أذكاهم وأكيسهم وأمكرهم وهم يهود بغداد فإن محتالا من شبان اليهود نشأ بسواد الموصل يقال له مناحيم بن سليمان ويعرف بابن الروحي وكان ذا جمال في صورته وقد تفقه في دينهم بالإضافة إلى الجمهور من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة بالعمادية من بلد الموصل وكان المتولى هناك ذا ميل إلى ذلك الختال وحب له لحسن اعتقاده فيه ولما توهم فيه من ديانة اظاهر بها بحيث كان الوالي يسعى إلى زيارته

فطمع ذلك الختال في جانب الوالي واستضعف عقله فتوهم أنه يتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها وأنها تضحى له معقلا حصينا فكتب إلى اليهود المستقرين بنواحي بلاد آذربيجان وما والاها لأنه علم أن يهود الأعاجم أقوى جهالة من سائد اليهود

وذكر في كتبه أنه قائم قد غار لليهود من يد المسلمين وخاطبهم بأنواع من المكر والخديعة فبعض فصول كتبه التي رأيتها يحوي ما هذا معناه ولعلكم تقولون هذا لأي شئ قد استنفرنا الحرب أم لقتال لا لسنا نريدكم لحرب ولا لقتال بل لتكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ليراكم هناك من يغشاه من رسل الملوك الذين يبابه

وفي أواخر الكتب ينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره من آلات الحرب ويخفيه تحت أثوابه فاستجابت إليه يهود الأعاجم وأهل نواحي العمادية وسواد الموصل ونفروا إليه بالسلاح المستتر حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة وكان الوالي لحسن ظنه به يظن أن أولئك القادمين إنما جاءوا لزيارة ذلك الخبر الذي قد ظهر لهم بزعمه في بلده إلى أن انكشفت له مطامعهم

وكان حليما عن سفك الدماء فقتل صاحب الفتنة الختال وحده فأما الباقون فتهاجوا مدبرين بعد أن ذاقوا وبال المشقة والخسارات والفقر ولم تنكشف هذه القصة لهم مع ظهورها لكل ذي عقل بل هم إلى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم أعني يهود العمادية

وفهم من يعتقدده المسيح المنتظر بعينه ولقد رأيت جماعة من يهود الأعاجم بخوى وسلماس وتبريز ومراغه وقد جعلوا اسمه قسمهم الأعظم

وأما من بالعمادية من اليهود فصاروا أشد مباينة ومخالفة في جميع أمورهم لليهود من النصرى

وفي تلك الولاية جماعة منهم على دين يسبونه إلى مناحيم الختال المذكور ولما وصل خبره إلى بغداد اتفق هناك شخصان من محتالي اليهود ودواهي مشيختهم فزورا على لسان مناحيم كتبوا إلى بغداد تبشرهم بالفرج الذي كانوا قديما ينتظرونه وأنه يعين لهم ليلة يطفرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس فانقاد اليهود البغداديون إليه مع ما يدعونونه من الذكاء ويفخرون به من الخب انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك

وذهبت نسوانهم بأموالهن وحليهن إلى ذينك الشيخين ليتصدقا به عنهن على من يستحقه بزعمهما
وصرف اليهود جل أموالهم في هذا الوجه واكتسوا ثيابا خضرا واجتمعوا في تلك الليلة على السطوح ينظرون
الطيران بزعمهم على أجرة الملائكة إلى بيت المقدس
وارتفع للنسوان منهم بكاء على أطفالهن المرتضعين خوفا أن يطرن قبل طيران أولادهن أو يطير أطفالهن قبلهن
فتجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم
وتعجب المسلمون هناك مما اعترى اليهود حيث أخذوا عن معارضتهم حتى تنكشف آثار مواعيدهم
العرقية

فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أسفر الصباح عن خذلاتهم وإتهامهم

ونجا ذانك المختلان بما وصل إليهما من أموال اليهود
وانكشف لهم بعد ذلك وجه الخيلة وما تظاهر به من جلابب الرذيلة
فسموا ذلك العام عام الطيران وصاروا يعتبرون به سنى كهولهم والشبان
وهو تاريخ البغداديين من المتهودة في هذا الزمان
فكفاهم هذا الأمر عارا دائما وشنارا ملازما
وفيما قد أوردناه كفاية قاضية للوطر من إفحامهم وإجامهم بما هو عين ما عندهم وأعوذ بالله مما يشركون وإليه
البراءة مما يكفرون

رسالة إلى السموأل وجوابها

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقال سيدنا الإمام الحبر العالم الأوحد الرئيس مؤيد الدين شمس الإسلام أوحد العصر ملك الحكماء أدام الله تأييده
وأرغم حسوده من الملة الإسرائيلية إلى الملة الإسلامية إما هوى واستحسان وعبث أو بدليل وبرهان
فأما الهوى والاستحسان والعبث فهو ما يقبح بمنله ولا يليق لمن وصل إلى درجته من العلم ولا سيما في الاعتقاد
والدين

وإن قال إنه بدليل وبرهان وبحت ونظر فإن كان هذا البحث والنظر بعقل حدث له فيما بعد فرجما حدث له عقل
آخر فيريه أن ما هو عليه الآن باطل
وإن كان ذلك البحث بالعقل الأول فهلا كان ذلك البحث قبل ذلك الوقت ولعله لو ازداد في البحث والنظر لعلم
أن الحق في غير المذهب الذي صار إليه
وإن قال عرفت أن الحق في هذا الدين بالدليل والبرهان قلنا بأي طريق ثم إنه لا يعلم أحد أن مذهبا أصح من سائر
المذاهب إلا إذا بحث واستقصى عن جميع المذاهب وتأمل جميع ما أصله أربابها وحججهم

فإن هو أدعى ذلك فهو محال لأن عمره لا يفي لمطالعة جميع ما أصله سائر أصحاب المذاهب والأديان ولعله لو سئل
عن حقيقة دين الجوس والثنوية والبراهمة لما كان قيما بعلوم مذهبهم وأيضا فإن الملة التي قد انتقل إليها هي على
مذاهب كثيرة فإلى أيها انتسب وأيها اختار

فإن كان إلى الآن غير منتسب إلى أحدها فهو إلى الآن غير مسلم
وإن كان قد رجح أحد المذاهب فبأي طريق
إن ادعى البرهان استحلال ذلك لأنه يلزم منه أن يكون قد اطلع على سائر كلام أصحاب الشافعي وابن حنيفة
ومالك وأحمد
وإن كان قد رجح أحد المذاهب استحسانا وهوى أو تقليدا فذلك مما لا يليق بالعلماء والحكماء
وحيثذ يرتفع عنهم الملك
ورأى سيدنا الإمام الخبر في تأمل ذلك والإجابة عنه أعلى

نسخة الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم
تأملت ما ذكره هذا المعترض السائل عما لا يعنه فليعلم أن الله هداني بالدليل الواضح والحجة الثابتة من غير تقليد
لمعلم أو والد

وأما سؤاله عن وقت الإذعان بالكلمة الإسلامية هل كان تاليا لاعتقادها أو تخلل بينهما زمان
كانت هذه الكلمة فيه مضمرة غير مظهرة فهو ضرب من الفضول لأن الإسلام مقبول عند الله وعند أهل الدين في
أي الوقتين كان
وأما نسبته لتأخير إظهاره إلى العبث فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخي وقت أو لخاذرة عدو
على أنا نبرأ إلى الله من التضجيع في إجابة الداعي إلى الحق بعد معرفته

ولكن عقيب ما كشف الله عن البصيرة وجاد بنور الهداية بادرت إلى الانضمام إلى زمرة الحق
وأما قوله إنه كما حدث له هذا عقلا فرجما حدث له عقل آخر يرى به أن ما هو عليه باطل
فجوابه أن هذا تمثيل فاسد وكلام محتل لأن هذا الاعتراض إنما يرد على من انتقل إلى دين يبحث ونظر ثم انتقل عن
الدين الثاني إلى دين ثالث يبحث آخر ونظر آخر لا على من نبذ المخالفة التي حصلت في وهمه بالتلفق من الآباء في
الطفولة وأنس بها واعتادها من غير أن تصح عنده يبحث ونظر ثم انه لما اتفق له اعمال الفكر والبحث أداه العقل
والأدلة الصحيحة إلى الحق لأن ذلك المهجور المتروك لم يؤده إليه نظر
فكيف يلزمه ما ذكر من الشبهة

وأما قوله : هل بحث عن جميع المذاهب فانه لا حاجة لي إلى ذلك لأن الحق في جهة واحدة وليس بمتعدد
فلما قادي الدليل إلى المذهب الحق لزم من صحته بطلان سائر المذاهب المخالفة له من غير حاجة إلى الإطلاع على
جميع ما حرره أربابها

وأما قوله لو بحث لعلم أن الحق في غير ما هو عليه فهو محال لأن الحق لا يتعدد
وأما سؤاله عن ما الطريق الذي صحت به عندي دعوة المصطفى فإن شهادة هذه الأمم العظيمة بنبوته مع المعجز

الأعظم الذي لم يبار فيه وهو فصاحة القرآن دلي على ذلك وأكد ذلك إشارات فهمتها من التوراة دلت عليه إلا أن الأول هو الأصل في الدلالة

وآما سؤاله عن المذهب الإسلامي الذي انتسبت إليه وما زعم أنه يلزم من مطالعة جميع مذاهب الأئمة فهو شبهة لا تلزم مني وسأل عما لا يعنيه إلا أن جوابي عنه هو الجواب الأول بعينه وهو أن الدليل قادي إلى مذهب اعتقد بصحته فلا حاجة لي إلى تصفح غيره لأن الحق غير متعدد في المذاهب كما أنه غير متعدد في الملة على أن الاختلاف بين الأئمة المسلمين إنما هو في توابع وصغائر لا في أصل العقيدة بحيث يكفر بعضهم بعضاً أعني أصحاب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد رضي الله عنهم دون أصحاب البدع على أن هذا السؤال عما لا يعنيه إذا قام هذا المقام فسبيله أن يقوى ما هدمت من حجج اليهود ويتشغل بنصرتهم عن السؤال عما لا يعنيه لأنني قد أظهرت فساد اعتقادهم وتناقض ما عندهم في الإفحام فذلك أولى من الإخلاد إلى شبهة الزنادقة وهذيانا المتفلسفة الكفار الذين يجب قتلهم في الملة التي فارقتها والملة التي هداها الله إليها أما ما ختم به كلامه فذاك أمر مرفوع على الحقيقة إلا أن الملوك والسلطين جرت عادتهم أن يخصوا كل واحد بما يرونه له أهلاً حراسة للمراتب من تطاول غير الأكفاء والحسد لا يزيد أهله إلا حمولا ...

وإذا خفيت على العبي فعاذر ... أن لا تراني مقلة عمياء

والسلام

تم الجواب